وثيقة حبيشية

نقد وتعليق

بقلم الخوري لويس الخازن

نشرت مجلة المشرق الغراء في عدد نيسان واذار من السنة الجارية رسالة وجهها حضرة الصديق الشيخ فؤاد حبيش الى حضرة الاب العالم اغناطيوس طنوس الخوري الذي عنى بنشر مخطوطة الشماس انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني وكان قد نشر قسماً من هذه المخطوطة العلامة المرحوم الاب لويس شيخو «اصل الامراء والمشائخ في لبنان لانطونيوس العينطوريني ٤ : ٧٦٩ — ٨٣٠» وتوجد نسخة عن هذه المخطوطة عند الاديب الكبير صديقنا الاستاذ امين بك مخلد .

ويرمي الشيخ فؤاد برسالته هذه الى امرين الاول التنويه بكرم محتد اسرته الحبيشية وبما قامت به من جليل الاعمال تجاه الطائفة والوطن . وهذا لا نجادله به وقد اشار هو نفسه الى ضعف مصدره حيث قال بأنه يستند فيما ورد على لسان المرحوم الاباتي برنردوس الغبيره الغزيري في معرض رثا خال الشيخ فؤاد نفسه ١٩٢٦ ويطلب من المسؤولين في الرهبنة الانطونية المارونية ان يفيدوه عن مصير اوراقه . فنحن نفيده ان القس برنردوس غبيره ترك الرهبنة بأمر الكرسي الرسولي قبل وفاته بعدة سنوات وسكن في بيت اهله في اسفل غزير وقيل لنا انه توفي هناك .

والثاني لينفي كلام العينطوريني حيث قال: «وصاروا الحبيشيون من مجاريز بيت الخازن» واليك نص كلام الشيخ فؤاد: «اما انا فيرجح لدي ان العكس هو اقرب الى المنطق والواقع التاريخي . واذا اهملنا كلام الاباتي برنردوس الغبيره ولم نشأ ان نأخذ به لتعذر الوقوف على المراجع التي استند اليها فما رأيك في وثيقة احفظ عنها صورة فوتوغرافية هذا نصها :

نص الوثيقة

جناب حضرة ولدنا الشيخ طربيه بدر حبيش حفظكم الله .

غب اهداء جنابكم البركة والسؤال عن غالي سلامتكم انشاء الله تكونوا جنابكم بكل صحة انتم ومن حوى داركم العامرة وبعده نعرض لجنابكم من مدة حضر الى عندنا ولدنا الشيخ طانوس ابو النصر الخازن من قرية عجلتون واخبرنا بأنه حضر الى عندكم في غزير وطلب أن يأخذ اختكم وجنابكم عارضتم بذلك .

واخبرنا ولدنا الخوري منذر كي يعرض لجنابكم ما به كفاية . وحتى الآن ما تكرمتم في الجواب للخوري المذكور والشيخ طانيوس راجعنا في خصوص ذلك . ونحن نعرف سطوتكم الشهيرة لدى العموم انو كان في القديم لم يحق الى بيت الخازن يتزوجوا من عايلتكم الحبيشية . ولكن صاروا من امثالكم . والشيخ طانيوس هو من الاغنياء الكبار . فنرجو الجواب طبق المرغوب . وربنا يحفظ لنا وجودكم .

تحرير في ٢٠ شباط ١٦٤٩ م

الامضاء والختم	الامضاء والختم
الداعي لجنابكم	الداعي لجنابكم
المطران حنا	الحقير المطران انطون محاسب

ثم يتابع كلامه الشيخ فؤاد قائلاً: « فهل من شك بعد هذه الرسالة البليغة في ان الشماس انطونيوس ابي خطار الذي تنشر مخطوطته قد عكس الآية » ؟

ثم يختم كلامه الشيخ المذكور بملاحظة يظنها قيمة حيث يقول : « ويغلب على ظني ان الشيخ طانيوس الخازن لم يظفر بيد شقيقة الشيخ طربيه حبيش بالرغم من ثروته الكبيرة ووساطة اثنين من احبار الطائفة المارونية ».

فنحن رغم جهلنا الفائدة التاريخية او الادبية من هذه الملاحظة نقول للشيخ فؤاد ان ظنه قريب من الصواب لان صاحب تاريخ الاعيان قد ذكر في الصفحة ٧٩ ان طانيوس بن ابي النصر الخازن توفي بعد ١٦٧٠ اذا فان مسؤولية انقطاع ذرية ذلك الشيخ الخازني تقع على الحبيشيين ؟... ولكن فلنترك الهزل والمزاح ولنرجع الى الوثيقة الحبيشية التي يصفها الشيخ فؤاد بانها بليغة وفيها الكلام الفصل فنقول ان هذه الوثيقة لا قيمة تاريخية لها وبالتالي لا نعلم لأي شيء تصلح لاننا لم نرَ نوع ورقها ... واليك الاثبات :

١ – يتضح من التاريخ انه قيل تاريخ هذه الوثيقة الحبيشية بنحو عشرين

سنة كان احد الخوازنة متزوجاً من بيت حبيش فقد ذكر الدويهي في تاريخ ١٦٣٠ ما نصه : « وفي سنة ١٦٣٠ في الخامس من تشرين الثاني نهار الاحد حدثت زلزلة مريعة وفي الساعة الثالثة من الليل حلت في قلعة سمر جبيل وهدمت البرج الاوسط من جوانبه الاربعة وخربت جميع ما كان في القبو التحتاني المركب على البئر . وفيها خطفت الزوبعة نوفل ابن الشيخ نادر ابن الخازن ووالدته بنت الشيخ معتوق ابن حبيش مع ستة انفس آخرين » . الدويهي . تاريخ الطائفة المارونية بيروت ١٨٩٠ ص٢٠٢ . فاذاً التزاوج بين الحبيشيين والخازنيين كان سابق الوثيقة

٢ — ان الوثيقة موقعة من مطرانين احدهما المطران حنا مجهول النسب والهوية ، والثاني المطران انطون محاسب . ونعرف من التاريخ انه وجد من بيت محاسب مطرانان الاول المطران يوحنا محاسب رقاه الدويهي الى اسقفية عرقا ١٦٩٨ وتوفي ١٧١٢ (الدبس . الجامع المفصل ص١٣٩٦ وص٣٨٠) والثاني المطران انطون محاسب رقاه الى اسقفية عرقا ١٧٤٨ البطريرك سمعان عواد وكان يدير مار شليط وابرشية جبيل والبترون والفتوح وتوفي في ١٣ ايلول ١٧٨٠ في الدير المذكور . (الدبس : ص٤٤٣) من الكتاب المذكور فاذن سنة ١٦٤٩ أي بتاريخ الوثيقة لم يكن موجوداً مطران من بيت محاسب بل كان رئيس دير مار شليط الخوري سركيس محاسب من ١٦٤٠ الى ١٦٨١ (الدبس : ص٣٩٠ — ٣٩٦) من الكتاب المذكور . فاذاً الوثيقة الحبيشية ينقضها التاريخ .

٣ — اذا صح ما ذكره المؤرخون عن وجود بيت حبيش على مسرح التاريخ اللبناني قبل بيت الخازن اي منذ ١٥١٥ وبيت الخازن ١٥٤٥ (الدويهي والشدياق والدبس) فان بيت الخازن تقدموا بيت حبيش بالوجاهة والتولية على غزير نفسها وحقاً نقد اجمع المؤرخون على هذا القول (راجع مثلاً تاريخ الاعيان ص٨٢ حيث يقول: سنة ١٦١٣ ارسل الامير يونس المعني الشيخ ابا نادر الخازن الى كسروان والياً عليها وجعلها مقاطعة له وأمره ان يسكن في غزير ويعمد اشجار كسروان مع الشيخ ابي ضاهر حبيش . ومثل ذلك قال الدبس في كتابه المذكور ص٣٣١ : ثم بعد ذلك بزمن طويل اي ١٦٨٠ كتب الامير

احمد المعني صكاً للشيخ طربيه بن موسى حبيش وللشيخ ابي شديد سيف بن طلب حبيش يوليهما على غزير فكانت اقطاعاً لآل حبيش (الدبس الكتاب المذكور ص٣٤٠ عن تاريخ الاعيان ص٩٩). بيد انه قبل هذا التاريخ وبعده كانت كل بلاد كسروان وحدّها من الجعلاني الى المعاملتين اقطاعاً لبيت الخازن.

اخيراً مما يجعل الوثيقة الحبيشية بعيدة عن التصديق هو ان بيت الخازن كانوا بزمن تاريخ هذه الوثيقة في اوج عزهم كما يتضح من قول المؤرخين فقد ورد مثلاً في تاريخ الاعيان ص٨٦ ما نصه : « وفي اول تموز١٦٤٧ توفي الشيخ ابو نادر خازن بن ابراهيم بن سركيس الخازن وله ولد يسمى ابا نوفل نادراً وقد تولى في ايام الامير فخرالدين بلاد كسروان وجبيل والبترون وجبة بشري والمرقب » . ومثل ذلك ذكر الدويهي (في الكتاب المذكور ص٢١٨)وزاد قائلاً انه بعد وفاة الشيخ ابي نادر خلفه ولده الشيخ ابو نوفل نادر وزاد غيرة ومكارم على والده . ولست في صدد نشر تاريخ بيت الخازن لأزيد عما تقدم بل ذكرت بعض ما قاله المؤرخون للدلالة على ان من كانت هذه شهرتهم وصفاتهم لا يعقل ان يقال عنهم سنة ١٦٤٩ انهم صاروا من مزاويج بيت حبيش. قد اوردنا ما اوردناه لا على سبيل التبجح والتفاضل لاننا ممن يقدرون آل حبيش حق قدرهم وتربطنا مع اكثر افرادهم روابط الصداقة والنسابة ولكن احببنا ان نبين لجناب الصديق الشيخ فؤاد الذي نقدر نبوغه انه اذا جاز له التمازح والتداعب في الكلام لا يجوز له العبث بالتاريخ والسلام على كل امرئ عرف حده فوقف عنده .

المؤرخ لويس الخازن